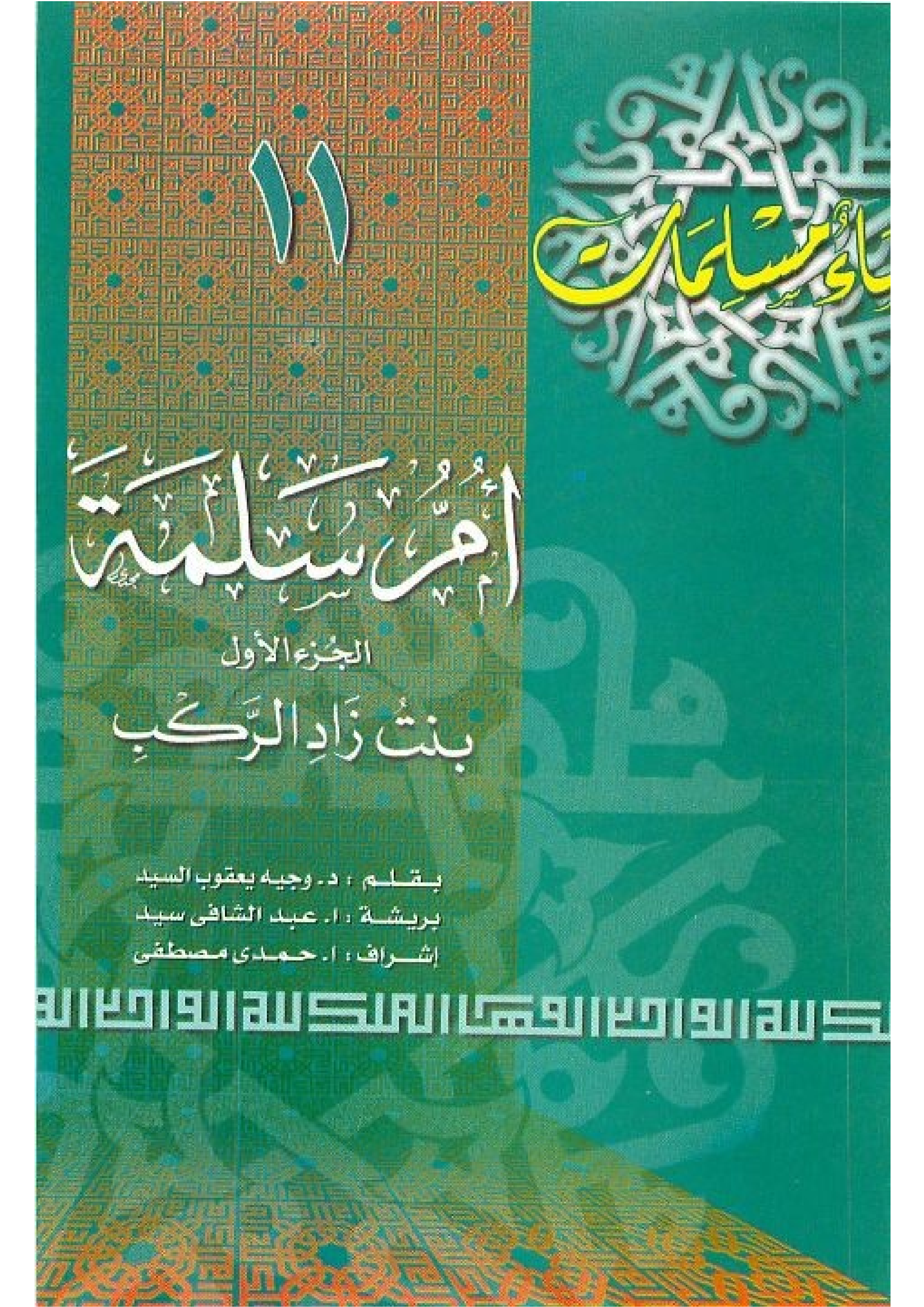

نساء مسلمات
١١
أم سلمة
الجزء الأول
بنت زاد الركب
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

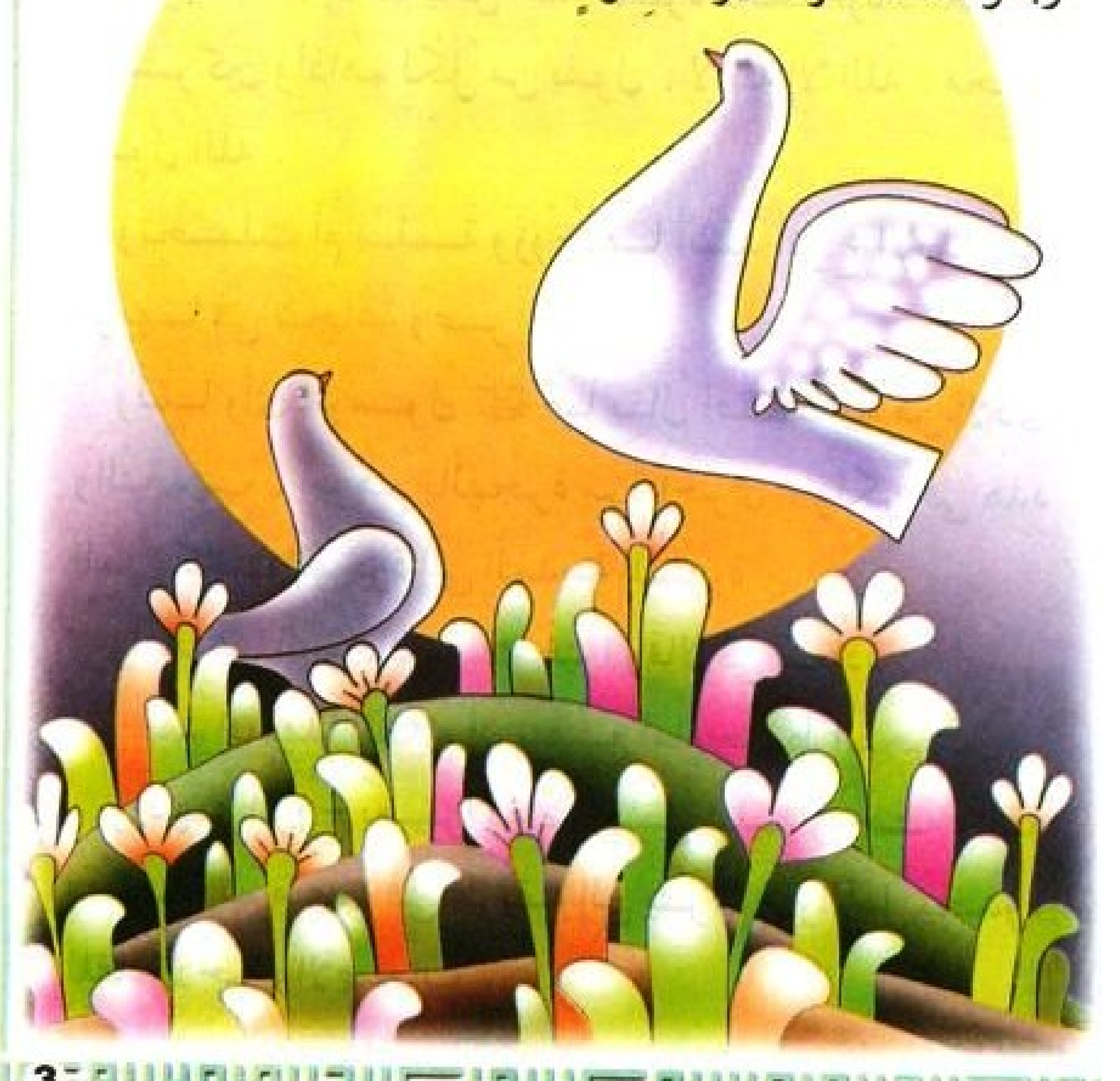
لَمْ تَكُنِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ امْرَأَةً عَادِيَّةً فِى حَيَاةِ النَّبِىِّ ﷺ وَلاَ فِى حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَالذَّكَاءِ ، وَتَتَّصِفُ بِالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، مِمَّا جَعَلَ لَهَا مَكَانَتَهَا الْمَرْمُوقَةَ فِى التَّارِيخِ الإِسْلاَمِىِّ ، كَمَا أَنَّهَا تَنْتَمِى لأُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ ذَاتِ مَجْدٍ ، فَأَبُوهَا أَحَدُ سَادَاتِ (مَخْزُوم) وَكَانَ رَجُلاً كَرِيمًا جَوَادًا ، لَمْ يَخْرُجْ فِى رِحْلَةٍ مَعَ جَمَاعَةٍ ، إِلاَّ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَا يَكْفِى هَذِهِ الْجَمَاعَةَ ، حَتَّى يَعُودُوا مِنْ رِحْلَتِهِمْ ؛ وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ « زَادَ الرَّكْبِ » .

وَمُنْذُ أَنْ بَزَغَ نُورُ الإِسْلاَمِ فِى قَلْبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَسْلَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ مَعَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ الْمَخْزُومِىِّ ابْنِ عَمَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ .

وَعَاهَدَ الزَّوْجَانِ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى التَّضْحِيَةِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَتَحَمُّلِ الأَذَى مَهْمَا اشْتَدَّتْ ضَرَاوَتُهُ ، وَصَدَقَا فِى هَذَا الْعَهْدِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَا لِلتَّعْذِيبِ وَالاضْطِهَادِ مِنْ قَوْمِهِمَا ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ ظَلاَّ مُؤْمِنَيْنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِمَا

هَذَا التَّعْذِيبُ شَيْئًا ، بَلْ زَادَهُمْ صَلَابَةً وَثِقَةً فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَهَاجَرَ الزَّوْجَانِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ، فِرَارًا مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ وَبَطْشِهَا ، وَهُنَاكَ عَاشُوا فِي حِمَايَةِ النَّجَاشِيِّ يَعْبُدُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ فِي سَكِينَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، وَبَقُوا هُنَاكَ فَتْرَةً غَيْرَ قَصِيرَةٍ .



وَانْتَشَرَت الأَخْبَارُ بينَ هؤُلاَءِ الْمُهَاجِرِينَ أَنَّ الإِسْلاَمَ أَصْبَحَ قَوِيًّا ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ بَطَلُ الْعَرَبِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وعُمَر بن الْخَطَّابِ ، فَقَرَّرَ الْمُسْلِمُونَ الْعَوْدَةَ إِلَى دِيَارِهِم ، بعدَ أَنْ أَرْهَقَتْهُم الْغُرْبَةُ والْبُعْدُ عَنِ الأَحْبَابِ .

وَمَا إِنْ عَادَ هؤُلاَءِ الْمُهَاجِرُونَ ، حَتَّى وَجَدُوا الأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَشَدَّ قَسْوَةً ، فَقَدْ ازْدَادَ تَعْذِيبُ الْمُشْرِكِينَ وأَذَاهُم لِكُلِّ مَنْ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

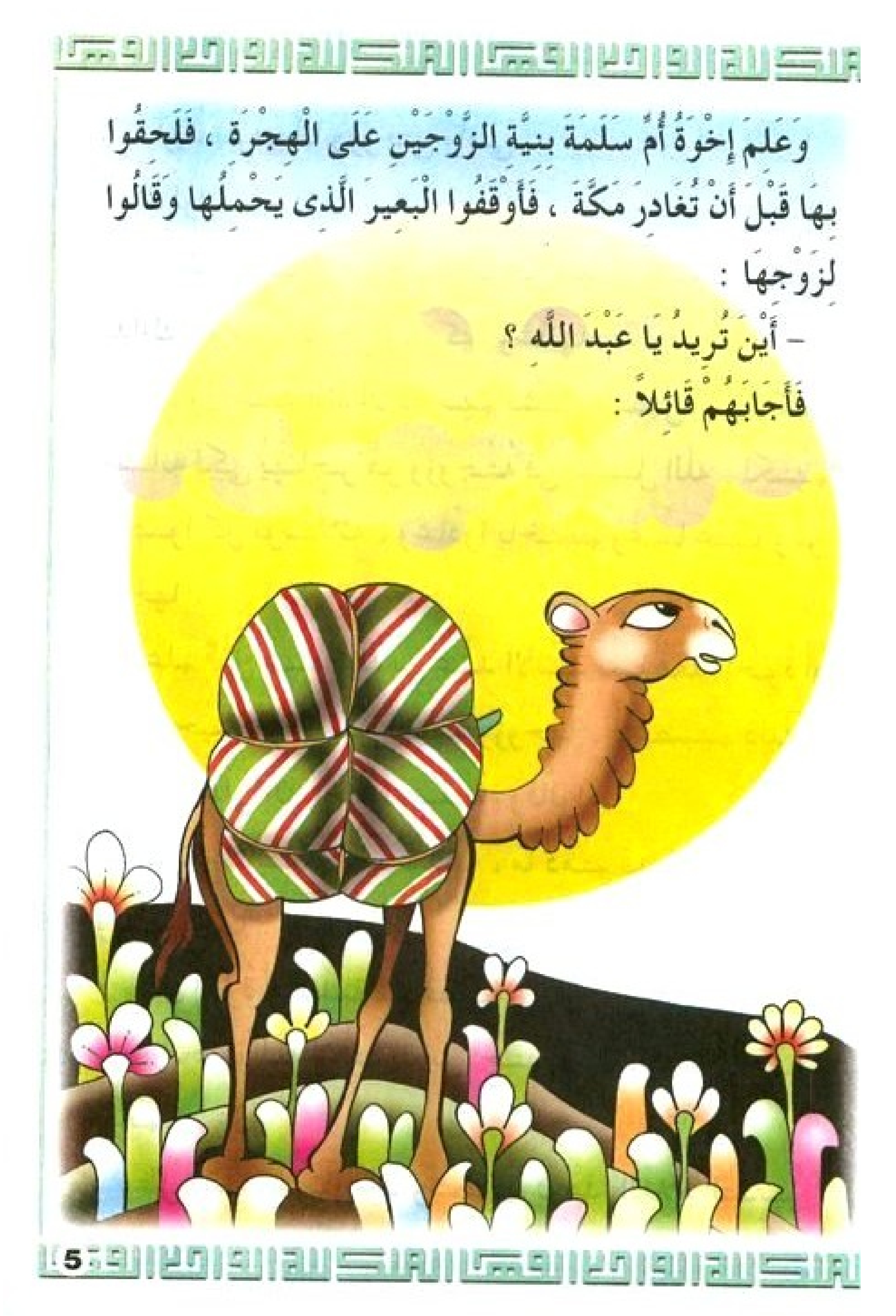
وَتَحَمَّلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا أَشَدَّ أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ مِنْ قَوْمِهِمَا فِي شَجَاعَةٍ وَصَبْرٍ .

وَلَمَّا رَأَى الرَّسُولُ ﷺ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ مِنَ الأَذَى وَالتَّعْذِيبِ ، أَمَرَهُم بِالْهِجْرَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَتِ الْهِجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

وَاسْتَبْشَرَ الزَّوْجَانِ بِذَلِكَ خَيْرًا وَقَالاَ فِي سَعَادَةٍ :

– لَقَدْ آنَ لِهَذَا الظَّلاَمِ أَنْ يَنْقَشِعَ أَمَامَ خُيُوطِ الْفَجْرِ .

وَجَهَّزَ الزَّوْجُ بَعِيرًا لَهُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ «سَلَمَةَ» ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى يَثْرِبَ ، وَالأَمَلُ يَحْدُوهُ لِلِقَاءِ الأَحِبَّةِ وَالأَصْحَابِ .



وَعَلِمَ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ بِنِيَّةِ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْهِجْرَةِ ، فَلَحِقُوا بِهَا قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ مَكَّةَ ، فَأَوْقَفُوا الْبَعِيرَ الَّذِى يَحْمِلُهَا وَقَالُوا لِزَوْجِهَا :

- أَيْنَ تُرِيدُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟

فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً :

-أُرِيدُ يَثْرِبَ أَنَا وَزَوجَتِي وَابْنِي .

فَقَالُوا :

- وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ صَاحِبَتَنَا تَرحَلُ مَعَكَ ، فَإِمَّا أَنْ تَبْقَى بِدَارِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرحَلَ وَتَترُكَهَا وَشَأْنَهَا .

وَحَاوَلَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يُقْنِعَهُمْ بِشَتَّى السُّبُلِ أَنْ يَترُكُوهُ وَشَأْنَهُ لِكَي يُهَاجِرَ هُوَ وَزَوجَتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكِنَّهُمْ رَفَضُوا كُلَّ تَوَسُّلاتِهِ ، وَعَادُوا بِأُخْتِهِمْ رَغْمًا عَنْهَا وَعَنْ زَوْجِهَا .

وَعَلِمَ أَهْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ بِمَا فَعَلَهُ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ حَيْثُ فَرَّقُوا بَيْنَ أُخْتِهِمْ وَزَوْجِهَا ، فَأَغْضَبَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَصَرُّوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا «سَلَمَةَ» وَقَالُوا :

- وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا ، مَا دُمْتُمْ قَدْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا .

وَقَالَ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ فِي غَضَبٍ :

- وَنَحْنُ وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ ابْنَ أُخْتِنَا لَكُمْ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكُمْ .

وَظَلَّ الْقَوْمُ يَتَصَارَعُونَ وَيَتَجَاذَبُونَ هَذَا الْغُلامَ الصَّغِيرَ

حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ أَعْمَامُهُ عَنْوَةً ، بِرَغْمِ بُكَاءِ أُمِّهِ وَعَوِيلِهَا .

وَعَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَعَ إِخْوَتِهَا ، فَحَبَسُوهَا فِي الْبَيْتِ ، فَبَقِيَتْ سَنَةً تَبْكِي عَلَى مَا أَصَابَهَا ، بِفَقْدِ ابْنِهَا وَرَحِيلِ



زَوْجِهَا ، وَحَبْسِهَا فِي الْبَيْتِ بِمُفْرَدِهَا ، وَمَنْعِ أَخْبَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْهَا .

وَمَضَى عَامٌ بِأَكْمَلِه ، وَأُمُّ سَلَمَةَ مَحْبُوسَةٌ فِي بَيْتِهَا ، بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ إِخْوَتُهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا و ابْنِهَا ، وَخِلَالَ هَذَا الْعَامِ سَاءَتْ أَحْوَالُهَا وَتَدَهْوَرَتْ صِحَّتُهَا ، وَلَمَّا رَآهَا ابْنُ عَمِّهَا عَلَى هَذَا الْوَضْعِ قَالَ لِإِخْوَتِهَا :

- أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِه الْمِسْكِينَةَ ؟ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ ابْنِهَا .

فَقَالُوا :

- أَتُرِيدُ أَنْ نُخْرِجَهَا لِكَيْ تَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ وَهِيَ عَلَى دِينِه ؟

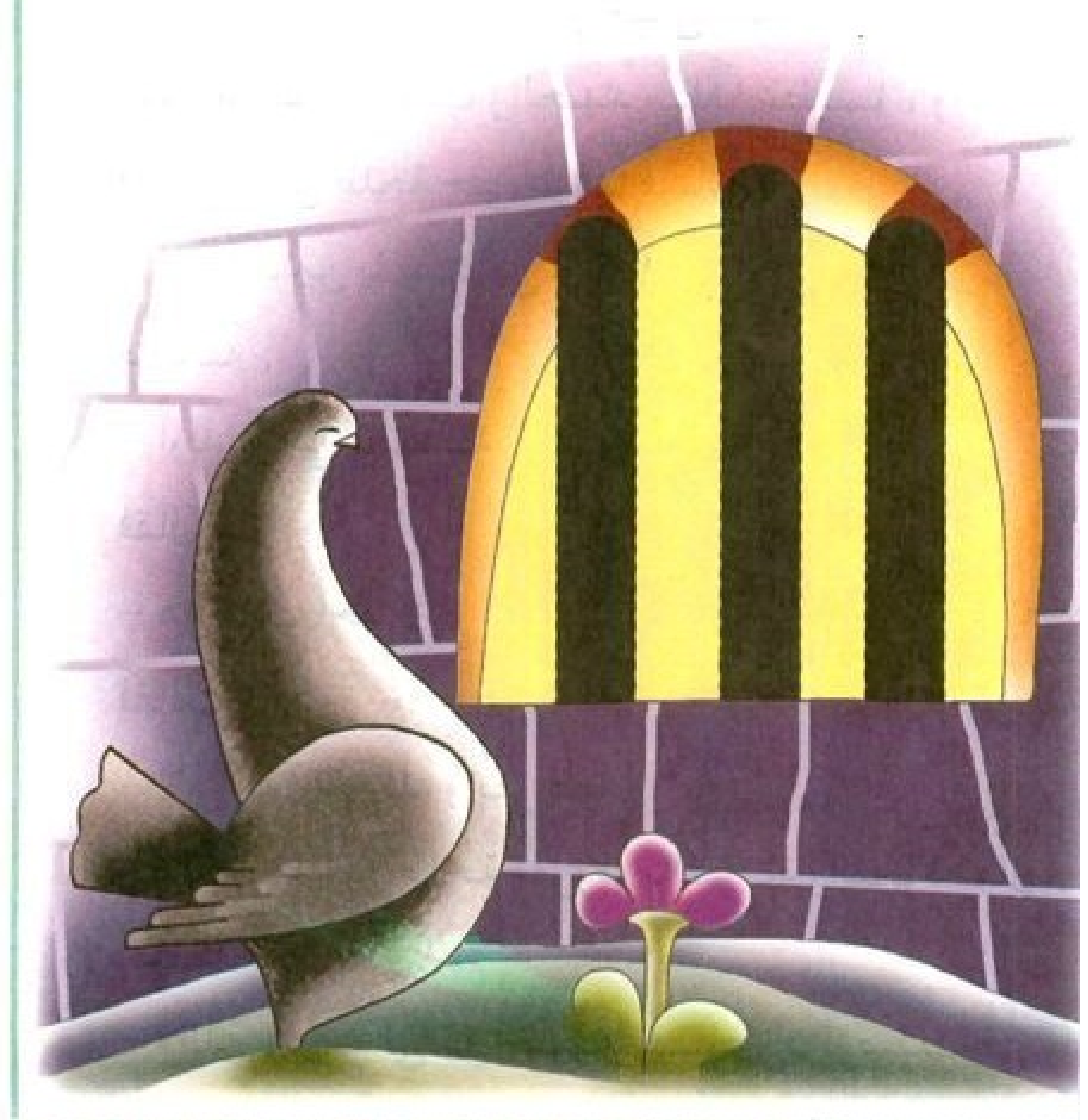
فَقَالَ :

- هِيَ وَشَأْنَهَا ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَعْقَلُ نِسَاءِ الْعَرَبِ ؛ فَلَنْ تَفْعَلَ مَا يَضُرُّهَا أَبَدًا .

وَمَا زَالَ يُجَادِلُهُمْ وَيُرَقِّقُ قُلُوبَهُمْ حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ وَقَامُوا إِلَى أُخْتِهِمْ وَقَالُوا لَهَا :

- الْحَقِي بِزَوْجِكِ إِنْ شِئْتِ .

وَفي تلْكَ الأَثْنَاء ، رَقَّ بنُو عَبْد الأَسَد لحَالهَا ، فَأَعَادُوا إِلَيْهَا ابْنَهَا ، وَطَلَبُوا منْهَا أَنْ تَنْتَظر بعْضَ الْوَقْت حَتَّى يُهَيِّئُوا لَهَا رَجُلاً يَقُودُ لَهَا الْبَعير ، لَكنَّهَا لَمْ تُطقْ صَبْرًا ،



بَلْ رَكِبَتْ بَعِيرَهَا ، وَوَضَعَت ابْنَهَا فِى حِجْرِهَا ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْبِسَ دُمُوعَ الْفَرْحَةِ ، حَيْثُ سَتَلْتَقِي بِزَوْجِهَا الَّذِى أَحَبَّتْهُ ، وَسَتَلْتَقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ وَاتَّبَعَتْهُ .

وَوَاصَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ السَّيْرَ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ ، وَهُنَاكَ بَلَغَ مِنْهَا التَّعَبُ وَالْجَهْدُ مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَمَا إِنْ رَآهَا عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَتَّى عَرَفَهَا فَسَأَلَهَا :

- أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا بِنْتَ أَبِى أُمَيَّةَ ؟

فَأَجَابَتْهُ :

- أُرِيدُ زَوْجِى بِالْمَدِينَةِ .

فَقَالَ لَهَا :

- هَلْ مَعَكِ أَحَدٌ ؟

فَقَالَتْ :

- لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا اللَّهُ وَابْنِى هَذَا .

وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ مَعْرُوفًا بِالْمُرُوءَةِ وَالنَّخْوَةِ فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ :

- وَاللَّهِ ، لَيْسَ لِى مِنْ خِيَارٍ سِوَى أَنْ أُوصِلَكِ إِلَى

زَوْجك ، فَأَنَا لا آمَنُ علَيْك قُطَّاعَ الطَّريقِ .

وانْطَلَقَ عُثْمانُ بْنُ طَلْحَةَ ببَعيرِأُمِّ سلمةَ يقُودُهُ حتَى قَدِمَ المَدينَةَ ، فأنْزلَهَا وقَالَ لهَا :

- إنَّ زَوْجَكِ فِي هَذَا المَكَانِ ، فَادْخُلِيهِ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .



ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ ، فِي حِينِ دَخَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ الْمَدِينَةَ ، وَسَطَ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، فَقَدْ كَانَتْ أَوَّلَ مُهَاجِرَةٍ تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ .

وَفِي الْمَدِينَةِ عَاشَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا أَجْمَلَ أَيَّامِهِمَا ، وَعَكَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا ، بَيْنَمَا رَاحَ زَوْجُهَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ رَايَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَخَاضَ الزَّوْجُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ مَعْرَكَةَ بَدْرٍ ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ الْكَبِيرِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

وَفِي غَزْوَةِ (أُحُدٍ) أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْأَعْدَاءِ ، فَجُرِحَ جُرْحًا بَلِيغًا ، فَأَخَذَ الصَّحَابَةُ يُعَالِجُونَهُ ، بَيْنَمَا مَسَحَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَوَاسَاهُ بِقَوْلِهِ :

- لَا تُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ ، فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) . .

وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بِرَغْمِ مَا بِهِ مِنَ آلَامٍ يَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَيَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَصَابَهُ وَيُرَدِّدُ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَيَقُولُ :



- اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي خَيْراً مِنْهَا .

وَعَادَ الزَّوْجُ وَهُوَ مُثْقَلٌ بِجِرَاحِهِ ، وَمَا إِنْ رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ حَتَّى قَالَتْ فِي فَزَعٍ :

- فِدَاكَ نَفْسِي يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا الَّذِي أَصَابَكَ ؟

فَقَالَ الزَّوْجُ :

- أَبْشِرِى يا أُمَّ سَلَمَةَ ، فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ فِى لَهْفَةٍ :

- وَمَا هُوَ ؟

فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ :

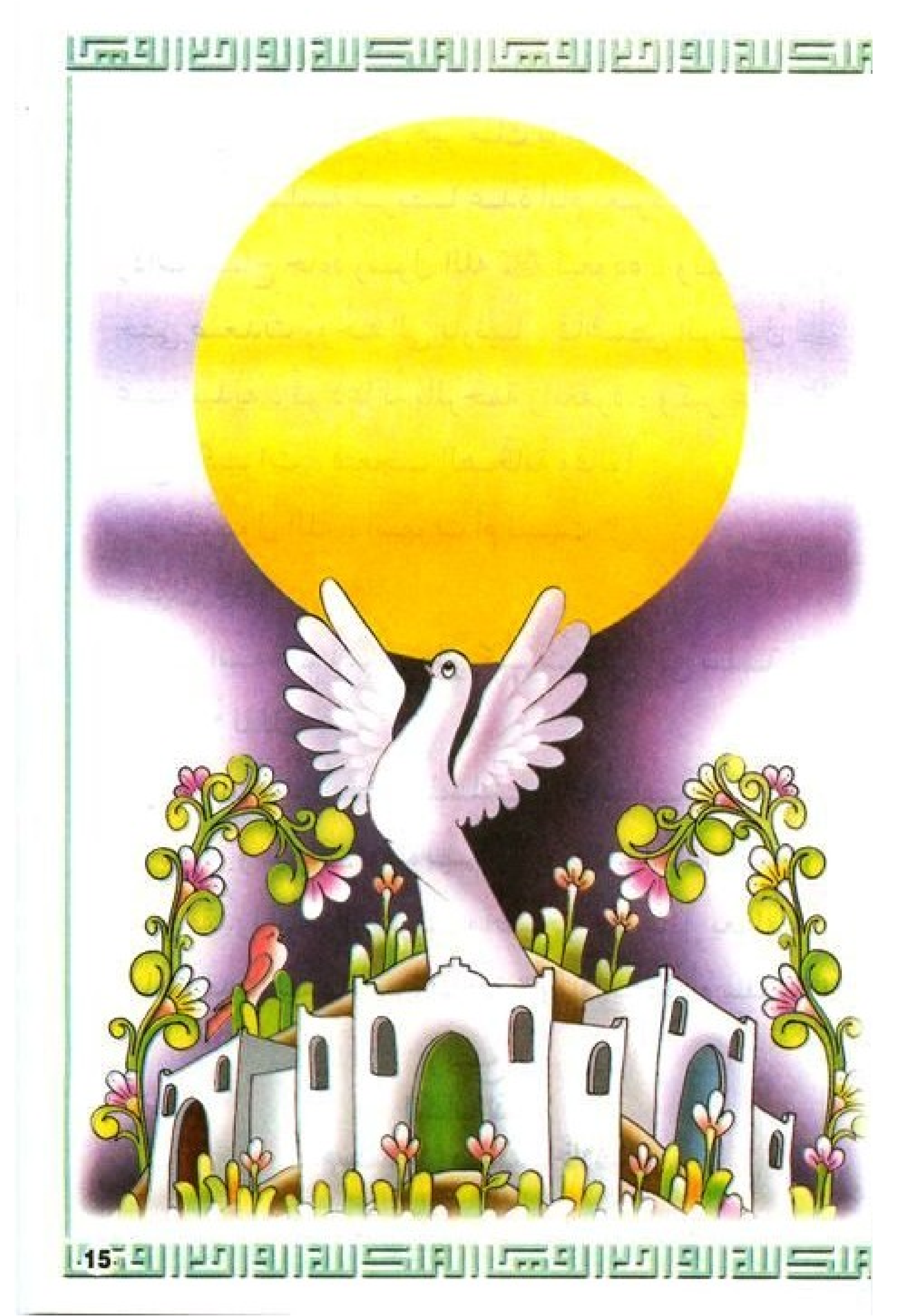
- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لا تُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ اللَّهِ ، ثُمَّ يَقُولَ : اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِى هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِى فِيهَا ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ .

وَلَمْ يَتَحَمَّلْ أَبُو سَلَمَةَ الأَلَمَ طَوِيلاً ، فَلَزِمَ الْفِرَاشَ ، وَجَاءَهُ الْمُسْلِمُونَ يَزُورُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ بِالشِّفَاءِ الْعَاجِلِ .

كَانَ أَبُو سَلَمَةَ رَجُلاً مُؤْمِنًا لا يَخَافُ الْمَوْتَ ، لَكِنَّهُ كَانَ خَائِفًا عَلَى مَصِيرِ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الأَرْبَعَةِ الصِّغَارِ ، فَمَنْ يَرْعَاهُمْ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَلِذَلِكَ فَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

- اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِى رَجُلاً خَيْرًا مِنِّى ، لا يُحْزِنُهَا وَلا يُؤْذِيهَا .

وَلَمَّا سَمِعَتْهُ زَوْجَتُهُ قَالَتْ وَهِىَ تَبْكِى فِى تَأَثُّرٍ :



- وَمَنْ هذا الَّذى هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ يا أَبا سَلَمَةَ ؟!

وظَلَّ أَبُو سَلَمَةَ مَرِيضًا عِدَّةَ أَيَّامٍ يَعُودُهُ المسْلِمُونَ ، وذاتَ صَباحٍ جاءَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ليعودَهُ ، وبقِى بجوارِهِ حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهُ إِلى بارِئِها ، فَأَغْمَضَ الرَّسُولُ ﷺ عَيْنَيْهِ بيدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ بالرَّحْمَةِ والمغْفِرَةِ ، وكَبَّرَ عَلَيْهِ ﷺ تِسْعَ تَكْبِيراتٍ ، فَتَعَجَّبَ الصَّحابَةُ وقَالُوا :

- يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسَهوتَ أَمْ نَسِيتَ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- لَمْ أَسْهُ وَلَمْ أَنْسَ ، وَلَوْ كَبَّرْتُ عَلَى أَبِى سَلَمَةَ أَلْفًا كانَ أَهْلاً لذلكَ .

وودَّعَ الرَّسُولُ ﷺ والمسْلِمُونَ أَبَا سَلَمَةَ إِلَى مَثْواهُ الأَخِيرِ ، وعُيُونُهُمْ وقُلُوبُهُمْ مَعَ زَوْجَتِهِ وأَبْنائِهِ الصِّغارِ ، الَّذِينَ فَقَدُوا أَباهُمُ الْحَنُونَ ، وأَصْبَحُوا بلا عائِلٍ يَعُولُهُمْ .

فَمَاذَا يَحْدُثُ لِهَذِهِ الأُسْرَةِ المؤْمِنَةِ ؟ وماذا يَنْتَظِرُ أُمَّ سَلَمَةَ ؟!

(يتبع)

الكتاب القادم

أم سلمة (٢) صفاتها وأخلاقها

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٥١٣٧

الترقيم الدولى : ٣ - ٥٩١ - ٢٦٦ - ٩٧٧